مدرسة بنات الأمل

تأسست في عام 1910 على يد مجموعة من السيدات الفاضلات اللواتي رأين حاجة البنات إلى التعليم.
كانت المدرسة في بدايتها تضم ثلاثين تلميذة فقط، وكانت تعقد دروسها في بيت كبير مستأجر.
وفي عام 1963 انتقلت إلى مبناها الحالي الذي يتسع لأكثر من 20 ألف تلميذة.
ومن أشهر من تخرجن فيها:
١. نجلاء حمدي الزيني – أول طبيبة أسنان في المدينة.
٢. سلمى فؤاد الخطيب – مهندسة.
٣. رنا عبد الرحمن البيطار – أول قاضية في محكمة الاستئناف.
٤. هالة منصور الدباغ.
٥. ريم عادل الشامي.
٦. أمينة جمال الورداني.
٧. نهى كمال الزعتري – مديرة المدرسة.
٨. منى فاروق الحلبي – أستاذة اللغة العربية.
٩. د. سلوى عبد الكريم النجار – طبيبة أطفال.
١٠. وداد يوسف القرنفلي – مؤلفة كتب للأطفال.
وقد أطلقت المدرسة اسم إحدى خريجاتها البارزات على إحدى قاعاتها الكبرى:

قاعة وداد القرنفلي

هل يمكن للمكان أن يحفظ الذكريات؟
أن يحتفظ بأصوات من مروا به؟
أن يعيد لنا ما فقدناه في غمرة الأيام؟

نظن أن الجدران صامتة، لا تسمع ولا تتكلم.
لكنها في الحقيقة تسمع كل شيء.
تسمع ضحكات الفتيات الأولى وهن يتسابقن على الدرج.
وتسمع دموع الامتحان الأول.
وتسمع أغاني الطابور الصباحي.
وتسمع وعود الصداقة التي لم تدم.
وتسمع أول قصيدة حب كتبت بخط مرتجف.
وتسمع الوعود التي قطعت ولم تُنسَ.

المكان الوحيد الذي يعرف الحقيقة كاملة هو المكان نفسه.
لأنه الشاهد الوحيد الذي لم يغادر.
بينما غادر الجميع.
بقي هو.
وحفظ.
وانتظر.

ربما لهذا السبب بالذات، نشعر أحياناً أن المدرسة ليست مبنى من حجارة وطوب، بل كائن حي له ذاكرة وقلب.
كائن يفرح لفرحنا، ويحزن لحزننا، ويشتاق إلينا حين نغيب.
ولهذا نعود إليه كلما ضاقت بنا الدنيا.
نعود إليه لنستعيد شيئاً من براءتنا الأولى.
نعود إليه لنتذكر من كنا قبل أن تثقلنا الأيام.
نعود إليه لنقول له: شكراً لأنك حفظتنا.
شكراً لأنك لم تنسَ أحداً منا.
شكراً لأنك ما زلت هناك، تنتظر عودة أبنائك مهما طال الغياب.

فقد يعود أحدهم يوماً
بعد سنوات طويلة
ويقف أمام الباب
ويتردد قبل أن يطرق
ثم يطرق بخجل
كأنه يخشى أن يوقظ الذكريات النائمة.

وعندما يُفتح الباب
سيجد المكان كما تركه
لم يتغير شيء
الجدران هي الجدران
والنافذة هي النافذة
والمقعد الخشبي في الزاوية ما زال في مكانه
كأن الزمن توقف هنا
كأن الأيام التي مضت لم تكن إلا حلماً قصيراً
وكأن الغائب لم يغب إلا لحظة
ثم عاد إلى مكانه الأول
إلى المكان الذي لا يشبه أي مكان آخر
إلى المكان الذي يعرفه أكثر مما يعرف نفسه
إلى المكان الذي يحفظ اسمه
ويحفظ ضحكته
ويحفظ دموعه
ويحفظ أحلامه
ويحفظ حتى الكلمات التي لم يجرؤ على قولها
لأنه كان يظن أن هناك وقتاً كافياً لقولها لاحقاً
ولكن الوقت خدعه
كما يخدع الجميع
وهرب
وترك المكان وحده
ليحفظ ما لا يستطيع أحد غيره أن يحفظه
ليحفظ ما لا يُكتب في الكتب
ولا يُقال في الخطب
ولا يُعلّق على الجدران
ليحفظ ما هو أثمن من كل ذلك
ليحفظ ما كنا عليه
قبل أن نكبر
وقبل أن نتغير
وقبل أن نصبح ما نحن عليه الآن